كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة
المجلة العلمية

الوحدة العضوية
في
النقد الأدبي الحديث

إعداد

أ.د / عمر عبد المعبود عبد الرحمن

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ
في كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة وعميدها الأسبق
عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين
بجامعة الأزهر الشريف

(العدد الثالث)

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

الوحدة العضوية في النقد الأدبي الحديث

عمر عبد المعبود عبد الرحمن ٠
أستاذ الأدب والنقد المتفرغ في كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة وعميدها الأسبق عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر الشريف ، قسم الأدب والنقد ، كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة ، المنيا جمهورية مصر العربية ٠
البريد الإلكتروني : omarismail.47@azhar.eha.eg

الملخص :
يهدف البحث إلى عرض موقف بعض نقادنا المحدثين حول قضية من أهم قضايا النقد الحديث ، وهى قضية الوحدة العضوية ، وبيان رأيهم في هذا الصدد ، وكيف فهموا هذه الوحدة ، وبمن تأثروا ، وكيف طبقوها في شعرهم وشعر غيرهم ٠

الكلمات المفتاحية :
الوحدة العضوية – النقاد العرب القدامى – نقاد مدرسة الديوان : شكري – المازني – العقاد ٠

organic unit in
Modern literary criticism

Name: Omar Abdel Maboud Abdel Rahman .
Full-time Professor of Literature and Criticism at Al-Azhar Girls College in New Minya and its former Dean Member of the Permanent Scientific Committee for the Promotion of Professors and Assistant Professors at Al-Azhar Al-Sharif University, Department of Literature and Criticism, Al-Azhar Girls College in New Minya, Minya, Arab Republic of Egypt .
Email: omarismail.47@azhar.eha.eg

Summary :The research aims to present the position of some of our modern critics on one of the most important issues of modern criticism, which is the issue of organic unity, and to state their opinion in this regard, and how they understood this unity, and who were affected, and how they applied it in their poetry and the poetry of others.

key words : Organic Unity - Old Arab Critics - Diwan School Critics: Shukri - Al-Mazni - Al-Akkad.

الوحدة العضوية في النقد الأدبي الحديث

الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية من أهم معالم التجديد التي دعا إليها النقد الأدبي الحديث ، وضرورة فنية حرص النقاد على توافرها في العمل الشعري فخطا الشعر في ظلالها خطوات بناءة في التخلي عن كثير مما كان يعلق بالقصيدة من حشو وتناقضات وتفكك ناجم عن تعدد موضوعاتها وتباعد أفكارها وتباين معانيها وتنافر أجزائها وغير ذلك مما كان يحيل القصيدة الشعرية إلى أشلاء مبددة لا وحدة تجمعها ولا تناسق بين أجزائها ، على حد ما قاله النقاد واتهموا القصيدة القديمة بذلك .

والوحدة العضوية عند الرومانتيكيين وثيقة الصلة بالخيال فحيث وجد الخيال وجدت الوحدة العضوية وحين لا يكون العمل الشعري نابعًا من الخيال لا تتحقق فيه الوحدة العضوية ، يقول كولردج :" الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر "[1] .

فما دام الإحساس واحدًا ، فالصور تخرج من بؤرة واحدة ويأتي الخيال ليجمع المبعثر ويوحد المتفرق فيصبح المتعدد واحدًا وبذلك يعمل الإحساس والخيال على صهر هذا الشتات ليصنع سبيكة واحدة تقود العمل الفني كله ، ولعل ذلك ما قصده كولردج في مقولته تلك ، فحيث يوجد الخيال تتحقق الوحدة العضوية ويصبح لكل عمل فني شكله الخاص الذي يميزه ، والذي ينبع من باطنه وينساب في أطرافه جميعًا فيلونها بلون عام مشترك .

ومن ثم تكون العلاقة بين الخيال والحدة العضوية علاقة سببية ، بمعنى أنه لا تتحقق وحدة الشعر بدون خيال ، كما أنه من وظائف الخيال صنع الوحدة في

(١) قضايا النقد الأدبي د. محمد زكي العشماوي ص ٩٩ .

العمل الأدبي ، لذا يعد " هذا الاكتشاف أهم ما حققته الحركة الرومانسية من مفهوم للخيال ترك بصماته على الفكر الجمالي بعد ذلك ، حتى ‘ن "ريتشاردز" يصف تعريف "كولردج" هذا للخيال بأنه :" أكبر خدمة أسداها للنظرية النقدية "[1]

والمقصود بالوحدة العضوية في القصيدة الشعرية كما يراها النقد الحديث : " وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبًا به تتقدم القصيدة شيئًا فشيئًا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية ، لكل جزء وظيفته فيها ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر "[2] .

وهذه الوحدة تتطلب عدة أمور ، منها : أن يفكر الشاعر طويلًا في منهج قصيدته ، وفي الأثر الذي يريد أن يحدثه في سامعيه ، وفي الأجزاء التي تندرج في إحداث هذا الأثر ، بحيث تتمشى مع بنية القصيدة بوصفها وحدة حية ، ثم في الأفكار والصور التي يشتمل عليها كل جزء ، بحيث تتحرك به القصيدة إلى الأمام لإحداث الأثر المقصود منها عن طريق التتابع المنطقي – ولا نقصد المنطق العلمي الصارم وإنما نقصد الحتمية والتوقع – وتسلسل الأحداث أو الأفكار، ووحدة الطابع ، والوقوف على المنهج على هذا النحو – قبل البدء في النظم – يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والصور التي تساعد على توصيل الأثر المراد .

كذلك تستلزم هذه الوحدة أن تكون الصلة بين أجزاء القصيدة محكمة ، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ، ووحدة الفكر فيه ، ووحدة المشاعر التي تنبعث منه ، أي أنها صلة تقتضي بها طبيعة الموضوع ووحدة الأثر الناتج عنه ،

(١) لغة الشعر د. السعيد الورقي ص ١٠٧ .

(٢) النقد الأدبي د. محمد غنيمي هلال ص ٣٩٤ .

إنها صلة الجزء بكله الذي انشطر إليه فالجزئيات المتتابعة ينبغي أن تقودنا في النهاية إلى موضوع مكتمل بلا نقص فيه ولا زيادة عليه .

كذلك تقضي هذه الوحدة استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ، بحيث لا يصح الرجوع بعد إلى الفكرة الأولى في القصيدة وإلا بدا الفكر مضطربًا واختلت بنية القصيد[١] .

والوحدة العضوية ليست على مستوى واحد في العمل الأدبي ، بل هناك فرق بين الوحدة العضوية في القصيدة الغنائية ، والوحدة العضوية في الشعر المسرحي ، وشعر الملاحم :" فهى في الثانية أرسخ ، ومقاييسها أوضح ، لأنها ترجع إلى ترتيب أجزاء الحكاية أو الخرافة ، وأثر ذلك في نفسية الأشخاص وتوالي الأحداث ، فإذا اختلت الوحدة بأن نقلنا منظرًا مسرحيًا إلى غير مكانه ، أو جزءًا من الملحمة إلى غير موضعه انهار العمل الفني من أساسه"[٢] .

أما القصيدة الغنائية فقد تكون بعض معالم الوحدة العضوية فيها غير ثابتة ولكنها في ناحية البنية العامة لا بد من وجودها ، ويجب أن تتآزر الأفكار وأن تتعاون جميعها بصورة عامة في إحداث الأثر المراد وأن تتقدم الصور في حركة نامية موحدة ، وألا يعود الشاعر إلى فكرة بعد أن تحدث في غيرها،وغير ذلك .

ومن ثم تكون الوحدة العضوية في القصيدة الغنائية أكثر مرونة منها في المسرحية أو الملحمة ، لكن إذا توافر للقصيدة الغنائية عنصر قصصي أو درامي فإن الوحدة العضوية فيها تكون أوضح وأظهر[٣] .

---

(١) راجع النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٢) السابق : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) السابق نفسه والصفة نفسها .

هذا ، وقد كانت الدعوة إلى الوحدة العضوية من أوائل معالم التجديد في الشعر العربي الحديث ، ومن بواكير مظاهر تأثرنا بشعر الغرب ونظرياته النقدية فرأينا نقادنا المحدثين يطالبون بتحقيقها في القصيدة الحديثة والحرص على الالتزام بمراعاتها كما تمسكوا بمقاييسها الفنية في نقدهم لأعمال الآخرين ٠

وقبل أن نعرض لمفهوم الوحدة العضوية عند نقادنا المحدثين نشير إلى أن نقادنا القدامى لم يكونوا على مستوى واحد في فهمهم لوحدة العمل الأدبي ، فمعظم النقاد تتمثل الوحدة عندهم في البيت الواحد ، فكل بيت من أبيات القصيدة – في رؤاهم – يجب أن يكون مستقلًا بمعناه ، كما هو مستقل في تفعيلاته ، وربما كان تمسك القدماء بوحدة البيت راجعًا إلى أنهم كانوا ينزعونه من القصيدة للاستشهاد به واستكناه الحكمة منه ، وتلاوته في مواقف من الحياة يصلح لها مضمونه ، لذلك لا يمكن الاستفادة منه على هذا النحو إلا إذا كان مستقلًا في معناه ومبناه ٠

وانطلاقًا من هذا الفهم يمكن نقل البيت من موضعه حيث وضعه الشاعر إلى موضع آخر من غير أن تحس شيئًا من الاضطراب في تتابع الأبيات ، أو من غير أن تحس أنك أفسدت على الشاعر نظمه وتأليفه ، أو أفسدت معانيه وصوره[١] ٠

وهناك طائفة أخرى من نقادنا القدامى فطنوا إلى ضرورة التلاؤم والتلاحم بين أجزاء القصيدة الواحدة غير أنهم لم يفطنوا إلى الوحدة العضوية كما دعا إليها النقد الحديث ، وحتى نقف على مفهوم الوحدة والمراد بها عند نقادنا القدامى ، نورد بعضًا مما قالوه في هذا الصدد عساه يوقفنا على مفهوم هذه الوحدة التي فطنوا إليها ، وأرادوا تحققها في القصيدة الشعرية ٠

(١) راجع : التيارات المعاصرة في النقد الأدبي د٠ بدوي طبانة ص ٤٢٣ وما بعده ٠

يقول "ابن رشيق" نقلًا عن " الحاتمي " :" من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجًا بما بعده من مدح أو ذم متصلًا به غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله ، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسًا يحميهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الإحسان"[١] .

ويزيد الحصري في روايته :" حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء "[٢] .

فالحاتمي يدعو إلى أن تكون القصيدة كجسم الإنسان كل عضو في موضعه بحيث لو حرك من مكانه أصاب القصيدة التشويه ، كما يصيب الجسم عندما توضع الأذن موضع العين أو الأنف موضع الفم وهكذا ، ولم يشر إلى وظائف هذه الأعضاء ، ولذلك أصاب قوله عن الوحدة العضوية بعض الخلل فلا يكفي أن يكون البيت في مكانه وإنما يجب أن يؤدي دوره في الإفصاح عن جزئية المعنى والعمل على نمو الجزئيات ليصل بها في النهاية إلى وحدة الموضوع ، فأعضاء الجسم ليست أشكالاً وإنما هى إلى جانب ذلك ذات وظائف محدودة تقوم بها وتؤديها في مكانها ، لذا أرى أن هذه النظرية أصابها بعض القصور عند الحاتمي .

وقد تحدث ابن طباطبا عن منهج تأليف القصيدة وترابط أجزائها وتماسكها ، فقال :" وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن

(١) العمدة : لابن رشيق ج٢ ص ١١٧ .

(٢) زهر الآداب للحصري ج٣ ص ٦٥١ .

تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنسه ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه ، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كل منهما في موضع الآخر ، فلا ينتبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه"[١] .

فابن طباطبا يدعو الشاعر إلى أن ينسق شعره ، ويقف على حسن تجاور الأبيات ، وأن يلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها اتصالًا قويًا ، ومن ثم تخلو من الحشو الذي يقطع على القارئ فكره ، ويحيل القصيدة إلى أشلاء مبعثرة ، ثم يزيد الأمر وضوحًا فيقول :" وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيتًا على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها ، والأمثلة السائرة المرسومة باختصارها لم يحسن نظمه بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة ، في اشتباه أولها بآخرها ، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الكلام من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجًا لطيفًا ... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغًا ... لا تناقض في معانيها ولا هى في مبانيها ولا تكلف في نسجها "[٢] .

فابن طباطبا كما يتضح من تلك الفقرة يدعو إلى وصل أجزاء القصيدة بعضها مع البعض الآخر ، ووجوب تآلف المعاني من القصيدة ، بحيث لا يحدث

(١) عيار الشعر ص ١٤٦ . طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية سمة ١٩٨٠م .
(٢) عيار الشعر ص ١٤٨ .

خلل في تركيبها ، أو تكون هناك فجوة بين المعاني حين ينتقل الشاعر من جزء إلى جزء ، فأحسن الشعر عنده ما كان فيه الاتساق والانتظام والتآلف هى الأمور التي تحكم القصيدة أولها بآخرها ، لأن الشعر إذا بنى بناء الرسائل التي تستقل كل رسالة بنفسها ، أو انشئ على نظام الحكم المتعددة التي تقوم كل كلمة بذاتها ، أو جرى مجرى الأمثال المختصرة لم يحسن نظمه ، لذا يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة وأن ترتب الأبيات داخلها ترتيبًا جيدًا ٠

ومثل تلك الإشارات إلى وجوب تآزر معاني القصيدة وتلاحم أجزائها لا تنهض دليلًا على فهم النقاد العرب القدامى للوحدة العضوية بمعناها الحديث ، وإنما هذه الوحدة في فهمهم تتمثل في وصل أجزاء القصيدة فيما بينها على نحو جيد ، لذا نجد " ابن طباطبا " الناقد العربي يدعو الشاعر أن يسلك في قصيدته مسلك "منهاج الرسائل في بلاغاتهم ، وتصرفهم في مكاتباتهم ، فإن للشعر فصولًا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة ، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافي والنوق ٠٠٠ بألطف تخلص أحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلاً به وممتزجًا معه "[1] ٠

وكلام ابن طباطبا أقرب إلى الوحدة العضوية من الحاتمي ، لأنه طلب التناسق في القصيدة من حيث المعنى والمبنى واللفظ والصورة ، لولا أنه لم يتعرض للعاطفة ولم يشترط وحدة الموضوع بل جارى غيره في تعدد الأغراض ، وهذا ما أبعده عن المعنى الحديث للوحدة العضوية ولم يشفع له اشتراط وصل الكلام لأنه عد مجرد وصل أجزاء القصيدة على النظام التقليدي في الجمع بين

(١) عيار الشعر ص ٢٠ ٠

الغزل والمدح والوصف وغير ذلك وحدة لها ، فإذا تخلص الشاعر من غرض إلى غرض على نحو جيد تكون قصيدته جيدة النسق محكمة الأجزاء ٠٠٠ ومن ثم يكون مفهومه للوحدة لا يعدو أن يكون مجرد وصل لأجزاء القصيدة المتباينة الموضوعات ٠٠٠ وسبكها سبكًا جيدًا ، وليس هكذا الوحدة العضوية بمفهومها الحديث ٠

ولابن قتيبة رأي قريب من تلك الآراء ، وإن كان قد فطن إلى علاقة الأبيات بعضها مع بعض في داخل الجزء الواحد من القصيدة ، حيث يقول :" ويتبين التكلف في الشعر أيضًا بأن ترى البيت مقرونًا بغير جاره ، ومضمومًا إلى غير لفقه، ولذلك قال غمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذلك ؟ فقال لأني أقول البيت وأخاه ، ولأنك تقول البيت وابن عمه "[1] ٠

حتى وإن كان الأمر كذلك فلم ينقض واحد منهم تعدد الأغراض ولا عابه ٠

وبعد ٠٠٠ فتلك النصوص التي أوردتها هى أهم الإشارات لدى بعض نقادنا القدامى حول ضرورة ارتباط أجزاء القصيدة الواحدة وتجانسها وانتظامها فيما يشبه الوحدة ، والبحث لا يعتب عليهم في ذلك ولا يلومهم لأن هذا المفهوم الذي فطنوا إليه كان يلائم حياتهم وظروفهم النفسية ، وطبيعة الشعر آنذاك ولا أحد يستطيع أن يحملهم رهقًا ويفرض عليهم أن يكشفوا حجب الغيب ويعرفوا ما ستؤول إليه هذه النظرية في الأجيال العاقبة لهم ، فحسبهم أنهم فطنوا لمعنى الوحدة على نحو خاص يتمثل في وجوب التلاؤم والتجانس بين أجزاء القصيدة ، كما اهتموا بالعلاقة بين معاني الأبيات مع البعض الآخر ، وعدوا انعدام الصلة بين المعاني المتنوعة في القصيدة عيبًا يخل بتجانس القصيدة ووحدتها ، وعليه

(١) الشعر والشعراء ج١ ص ٩٦ ط٠ ٣ تحقيق أحمد محمد شاكر ٠

يمكن القول بأن الدعوة إلى أن تكون القصيدة ذات موضوع واحد ، فضلًا عن بنائها بناءً عضويًا لم يكن مفهومًا لدى نقادنا القدامى .

ويؤكد د/ غنيمي هلال أن نقادنا القدامى لم يفهموا معنى الوحدة العضوية إلا " على نحو خاص ، إذ فهموا أن معنى هذه الوحدة هو إعادة وصل أجزاء القصيدة القديمة بعضها إلى بعض ، وإن لم يكن بين الأجزاء نفسها صلة "[1] .

والدكتور محمد زكي العشماوي يرى – أيضًا – أن إشارات نقادنا القدامى إلى وحدة القصيدة الشعرية " لا تستطيع أن تنهض دليلا على إدراكهم لمعنى الوحدة العضوية بالمفهوم الحديث للكلمة ، كما أن تطبيقاتهم ودراساتهم التحليلية للقصيدة لم يتضح فيها مفهوم واحد دقيق للكيان العضوي "[2] .

ذلك هو مفهوم وحدة القصيدة لدى نقادنا القدامى ، فماذا عن مفهوم هذه الوحدة لدى نقادنا في مطلع العصر الحديث ؟ .

سبق القول إن نقادنا في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين اتجهوا اتجاهين ، اتجاه استمد مقوماته الفنية من النقد العربي القديم ، وخير ما يمثل ذلك اتجاه الشيخ " حسين المرصفي " وبالتالي جارى القدماء في فهمهم لوحدة العمل الأدبي ، والاتجاه الآخر الذي ظهر مع مرور الوقت تأثر أصحابه بالآداب الغربية ، وبالنظريات النقدية الوافدة من الغرب ، فرأينا دعوات تجديدية في محيط الأدب العربي ، من هذه الدعوات الدعوة إلى الوحدة العضوية ، لكن هذه الدعوة لم تكن دعوة منهجية متكاملة ، وإنما كانت من قبيل التلميح فقط على نحو ما رأيناه عند " نجيب الحداد " الذي عاب على الشعر العربي فقدانه للوحدة العضوية ، وكذلك رأينا " مطران خليل مطران " يشير في مقدمة ديوانه الذي

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٢١١ .

(٢) قضاي النقد الأدبي ص ٢٠٠ .

صدر عام ١٩٠٨م إلى أنه لا ينظر في شعره إلى جمال البيت المفرد ، وإنما ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها وغير ذلك ٠

ومع أن كلام مطران يفهم منه أنه دعوى إلى الوحدة العضوية في القصيدة ، إلا أن مطران لم يعمق هذه الدعوة ، ولم يرسم لنا منهجًا جديدًا للقصيدة العربية يؤدي إلى تحقيق الوحدة العضوية فيها ، أو يعرض لما يمكن أن يراه عيبًا في مسلك القصيدة القديمة من ناحية بنائها ، ومن ثم كان حديثه عن وحدة القصيدة من باب الإلماح إلى ما يجب أن تكون عليه القصيدة لا من باب التقعيد والتقنين"[١]

وتعد قضية الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية من القضايا الهامة التي تناولها نقاد الديوان ضمن نظريتهم القديمة ، وتمثل حدًا من الحدود الفاصلة بين مذهبهم ومذهب أنصار القديم ، لذا اهتموا بها ، ودعوا إلى الإلتزام بمقاييسها الفنية ، ثم اتخذوا منها منفذًا لمهاجمة الشعراء التقليديين الذين يتمسكون في بناء قصائدهم بالمذهب القديم ومقاييسه الفنية ، ومن ثم تناول الديوانيون حسب رؤيتهم الفنية للوحدة العضوية قصائد لشوقي وغيره بالنقد والتجريح ذاهبين إلى أن هذه القصائد خلت من الوحدة العضوية ، لذا جاءت مفككة لا ترابط بين أجزائها ، ولا تناسق بين معانيها ولا أثر للوحدة فيها من غرض إلى غرض فحسب ، بل هاجموا – أيضًا – التفكك في الغرض الواحد ، وطالبوا بألا تقتصر القصيدة على وحدة الغرض بل وأن تبنى بناءً عضويًا متكاملاً ، غير أن الديوانيين لم يكونوا على درجة واحدة في فهمهم ودعوتهم للوحدة العضوية ،

(١) راجع العقاد ناقدًا ص ٤٢٨ ٠

وبالوقوف على آراء كل منهم في هذا المجال تتضح لنا رؤاهم الفنية في هذه القصية .

يُعد المازني أقل الديوانيين حديثًا عن الوحدة العضوية ، ومن خلال رده على المقلدين يمكننا أن نقف على مفهوم الوحدة عنده ، يقول :" أليس شرف المعن وجلالته في صدقه ، فكل معنى صادق شريف جليل ، إلا أن مزية المعاني وحسنا ليسا في ما زعمتم من الرف فهذا سخف ... ولكن في صحة الصلة أو الحقيقة التي أراد الشاعر أن يجلوها عليك في البيت مفردًا أو القصيدة جملة ، وقد يتاح له الإعراب عن هذه الحقيقة في بيت أو بيتين ، وقد لا يتأتى له ذلك إلا في قصيدة طويلة وهذا يستوجب أن ينظر القارئ في القصيدة جملة لا بيتًا بيتا كما هى العادة ، فإن ما في الأبيات من المعاني إذا تدبرها واحدًا واحدًا ليس إلا ذريعة للكشف عن الغرض الذي قصد الشاعر وشرحا له وتبيينًا "[1] .

ولنا أن نتساءل هل المازني في نصه هذا يقبل استقلال البيت بالمعنى ؟ ربما يضللنا قوله " ولكن في صحة الصلة أو الحقيقة التي أراد الشاعر أن يجلوها عليك في البيت مفردًا " فتحسبه يتحدث عن استقلال البيت المفرد ، ويدعم هذا الفهم قوله : " وقد يتاح له الإعراب عن هذه الحقيقة في بيت أو بيتين " ولكنك إذا تابعت النص ، ووقفت على ما قاله عن ابن الرومي والعقاد تدرك أنه لم يقصد البيت إلا على أنه جزء في كل ولبنة في بناء متكامل ألا وهو القصيدة برمتها ذات الموضوع الواحد والأجزاء المتنامية في كل بيت ، فالمعاني الجزئية الممثلة في الأبيات تتضافر جميعها لتكون الفكرة العامة أو الغرض الواحد الذي يهدف إليه الشاعر .

(١) شعر حافظ ص ٦ .

وفي دراسة "المازني" " لابن الرومي " نراه يشيد بابن الرومي ويرى أنه أقرب إلى شعراء الغرب وذلك " لأن البيت في قصائده يندر أن يكون وحدة قائمة بنفسها عما قبلها وبعدها إلا من حيث معاني النحو ، كما هو في قصائد العرب ، وكثيرًا ما يشذ ويخالف أوضاع العرب في اعتبار البيت كلامًا تامًا في ذاته غير متعلق بما يليه على مقتضى أحكام اللغة "[1] .

أما في دراسة "المازني" لقصيدة "العقاد" "ترجمة شيطان" فنراه يقول في تقريظها " لأول مرة في تاريخ الأدب العصري – والعربي أيضًا – يرى القارئ عملًا فنيًا قائمًا على فكرة معينة تدور على محورها القصيدة وتجول ، ولعل هذا من أظهر مميزات الأدب الحديث وأكبرها ، فقد كان الرجل يقول القصيدة مسوقًا إلى قرضها بباعث مستقل عن النفس ، ولكنك هنا ترى بناء مشيدًا نبتت فكرته لسبب مفهوم وعلة طبيعية مشروحة ، وأعمل الشاعر ذهنه في جملتها وتفاصيلها ثم أفرغها في قالب تخيره لها بعد الروية ، وعرضها في أسلوب فني موسيقي أبدعه لها "[2] .

من هذا النص يتضح لنا أن القصيدة عند "المازني" ينبغي أن تكون عملًا فنيًا تامًا قائمًا على فكرة معينة تدور على محورها القصيدة ، ويجب أن يكون الباعث إلى قولها باعث نفسي ، كذلك فالقصيدة بناء مشيد نبتت فكرته لسبب مفهوم وعلة طبيعية ، والشاعر ذو تجربة شعرية أعمل ذهنه في جملتها وتفاصيلها ثم أفرغها في قالب تخيره لها بعد الروية ، وعرضها في أسلوب فني موسيقي ، وهذا كله إنما يدل على أن في القصيدة الشعرية وحدة لأنها قائمة على فكرة معينة دارت حولها القصيدة ، ثم إن إعمال الذهن وعنصر التروي في

(١) حصاد الهشيم ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٢) السابق ص ٣٦ .

جملتها وتفاصيلها قبل إفراعها وإخراجها جعلها تجربة شعرية حية ، وهذا يؤدي إلى وحدة القصيدة ، وبنائها بناء عضويًا جيدًا لأن القصيدة تجربة واحدة مر بها الشاعر ولا يمكن أن يظل البيت المفرد هو الوحدة التي تتكون منها القصيدة بحيث جاءت القصيدة وحدة متكاملة وعملاً فنيًا تامًا .

ومع أن هذا فهم جيد لوحدة العمل الأدبي إلا أنني أرى أن "المازني" تجاوز في وصف قصيدة "العقاد" وتقريظها : بأنها أول عمل فني قائم على فكرة معينة تدور على محورها القصيدة وتجول في الأدب العصري بل والأدب العربي كله ؛ إذ لا يعقل أن يكون الأدب العصري والأدب العربي على مر العصور خلوا من عمل فني قائم على فكرة معينة ، ودليلنا من الأقوال السابقة ، ولعلنا نجده في قول المازني نفسه عن "ابن الرومي" فهو قرظه من حيث الوحدة المحققة فيه ، وبذلك يكون العقاد مسبوقًا ، والمازني يناقض نفسه ، فقد نسى ما قاله في فورة الحماس لمعاضدة العقاد والإشادة به .

أما عبد الرحمن شكري فقد تحدث في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه عن مفهوم الوحدة العضوية ، ورأى أن القراء يحكمون على قصيدة الشاعر :" بأبيات منها تستهوي أنفسهم إما بحق وإما بباطل ، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة ، وهذا خطأ ، فإن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة لأن البيت جزء مكمل ، ولا يصح أن يكون البيت شاذًا خارجًا عن مكانه من القصيدة بعيدًا عن موضوعها وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهينًا بتفهم الصلة التي بينه وبين موضوع القصيدة ، ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة بل بالنظرة المتأملة الفنية ، فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هى فرد كامل ، لا من حيث هى أفراد مستقلة فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز لغرابته وهو بالرغم من ذلك جليل لازم

لتمام معنى القصيدة ، ومثل الشاعر الذي لا يعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها ، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيبًا واحدًا ، وكما أنه ينبغي للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، كذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع "[1] .

ولا شك أن تلك دعوة صريحة لوحدة القصيدة الشعرية وترابطها فيما بينها حتى تكون كالبنية الواحدة ، فالقصيدة – عنده – يجب أن تكون في غرض واحد لا عددًا من الأغراض كما كانت القصيدة العربية القديمة ، والقصيدة فرد كامل لا أبيات مستقلة ، لأن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة ، ومن ثم لا يصح أن يكون البيت خارجًا في معناه عن موضوع القصيدة بل يجب أن تتصل الأبيات فيما بينها اتصالاً وثيقًا بدليل أن بعض الأبيات قد لا يستفز القارئ أي لا يثير انتباهه غير أنه وضع لهدف فني وهو التحام الأجزاء وشدة اتصالها فيما بينها ، وهكذا لا يكتفي شكري بوحدة الموضوع ، وإنما يطالب بأن تكون القصيدة بناء كليا تترابط أجزاؤه ، مع مراعاة الانسجام – أيضًا – في الخيال والتفكير والعاطفة في كل جانب من جوانب موضوع القصيدة .

ويعترف شكري بأنه أخذ فكرة وحدة القصيدة من الشعر الإنجليزي ، ويذهب إلى أن هذه الوحدة موجودة في الشعر العربي خاصة في قصائد الوصف ، يقول : " وحدة القصيدة أخذته عن الشعر الإنجليزي ، ولكنها موجودة في الشعر العربي أيضًا في قصائد الوصف خصوصًا ، وفي كل قصيدة تقتضي هذه الوحدة ، وهى

(١) ديوان شكري . مقدمة ج٥ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

موجودة في الشعر الإنجليزي أيضًا في كل قصيدة تقتضي الوحدة كقصائد الوصف والقصص وغيرها "[1] .

وهكذا يؤكد شكري توافر الوحدة في القصيدة العربية القديمة ، وفي أنواع كثيرة من الشعر العربي ، والحقيقة أن الديوانيين لم يحاولوا غمز الشعر العربي أو انتقاضه وإنما كانوا دائمًا يهاجمون الشعراء المحدثين المقلدين الذين لا يزالون متمسكين بمجاراة القديم في كل شئ رغم ظهور النظريات الأدبية الحديثة والنهضات الأدبية العالمية ، ولعلهم في ذلك كانوا يلتمسون العذر للقدماء الذين لم يعيشوا عصرنا فكيف نلزمهم بمقتضيات عصر لم يروه ، ولكن المحدثين ما عذرهم ؟ فنعوا عليهم الالتفات إلى الخلف والحياة تمضي بالجميع إلى الأمام .

أما العقاد فكان أكثر الديوانيين حديثًا عن الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية ، وعرض لها بشئ من التفصيل في كتاب " الديوان في الأدب والنقد " نظريًا وتطبيقيًا .

يرى العقاد أن القصيدة الشعرية يجب أن تكون في موضوع واحد تدور حوله ، لذا يرفض أن يخلط الشاعر في القصيدة بين موضوعات متعددة ، لأن الشعر – في نظره – ما هو إلا كلام فإن كانت له ميزة على الكلام المبتذل فميزته أنه أجمل وأبلغ وأحسن وضعًا للمعاني في مناسباتها ، ومن ثم لا يجوز للشاعر أن يخلط مثلا بين الوجد والهيام وتقدير الحوادث الجسام لأنه في هذه الحالة يكون قد خلط بين أبعد موضوعين عن الانتظام في نسق واحد[2] .

---

(١) من رسالة بعث بها "شكري" إلى د/ أحمد عبد الحميد غراب في ١٩٥٥/٨/٢٧م انظر : عبد الرحمن شكري للدكتور / أحمد عبد الحميد ص ٢٧٧ .

(٢) راجع : الديوان في الأدب والنقد ج١ ص ٤٠ .

أما في مجال الوحدة العضوية فقد تحدث "العقاد" في الجزء الثاني من كتاب "الديوان" حديثًا مفصلاً ، فذهب إلى أن القصيدة " ينبغي أن تكون عملاً فنيًا تامًا يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها "[١] .

والقصيدة الشعرية في تصور العقاد :" كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة ، أو هى كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ، ولا قوام لفن بغير ذلك حتى فنون الهمج المتأبدين فإنك تراهم يلائمون بين ألوان الخرز وأقداره في تنسيق عقودهم وحليهم ولا ينظمونه جزافًا إلا حيث تنزل بهم عماية الوحشية إلى حضيضها الأدنى ، وليس دون ذلك غاية في الجهالة ودمامة الفطرة "[٢] .

فالعقاد بالتنصيص على وظائف الأعضاء وأماكنها من الجسم اختلف اختلافًا جوهريًا عن الحاتمي .

ويذهب العقاد إلى أن الشعر حين يفقد الوحدة العضوية يكون " ألفاظًا لا تطوى على خاطر مطرد أو شعور كامل بالحياة بل هو كأمشاج الجنين المخدج بعضها شبيه ببعض أو كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها عضو ولا تنقسم فيها وظائف وأجهزة ، وكلما استفل الشئ في مرتبة الخلق صعب التمييز بين أجزائه "[٣] .

(١) الديوان في الأدب ج٢ ص ١٣٠ .
(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .
(٣) الديوان في الأدب والنقد ج٢ ص ١٣٠ .

وينفي العقاد أن تكون القصيدة " مجموعًا مبددًا من أبيان متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية ، وليست هذه بالوحدة المعنوية الصحيحة إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافي المتشابهة أكثر من أن تحصى "[١] .

ويرى العقاد أنه إذا " اعتبرنا التشابه في الأعاريض وأحرف القافية وحدة معنوية جاز إذن أن ننقل البيت من قصيدة إلى مثلها دون أن يخل ذلك بالمعنى أو الموضوع وهو ما لا يجوز "[٢] .

ويهاجم العقاد الشعراء والنقاد الذين " يحسبون البيت من القصيدة جزءًا قائمًا بنفسه لا عضوًا متصلًا بسائر أعضائها فيقولون أفخر بيت وأغزل بيت وأشجع بيت وهذا بيت القصيد وواسطة العقد كأن الأبيات في القصيدة حبات عقد تشترى كل منها بقيمتها فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئًا من جوهرها ، وهذا أدل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين أبيات القصيدة وتقطع النفس فيها وقصر الفكرة وجفاف السليقة ... وإذا كان الأمر كذلك فلا عجب أن نرى القصيدة من هذا الطراز كالرمل المهيل لا يغير منه أن تجعل عاليه سافله ، أو واسطة في قمته ، لا كالبناء المقسم الذي ينبئك النظر إليه عن هندسته وسكانه ومزاياه "[٣] .

وتأسيسًا على هذا الفهم تناول العقاد قصيدة "شوقي" في رثاء " مصطفى كامل " وطبق عليها مقاييسه الفنية في الوحدة العضوية ليثبت أنها أبيات نشتتة ، وسوف أعرض ما قاله في نقد هذه القصيدة ، لنقف من خلال آرائه النظرية على مفهومه للوحدة العضوية .

---

(١) الديوان في الأدب والنقد ج٢ ص ١٣٠ .

(٢) السابق ، ونفس الصفحة .

(٣) السابق نفسه ، ج٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

يبدأ العقاد نقده لقصيدة شوقي قائلًا :" هذه كومة الرمل التي يسميها شوقي قصيدة في رثاء مصطفى كامل ، نسأل من يشاء أن يضعها على أي وضع فهل يراها تعود إلا كومة رمل كما كانت ؟ وهل فيها من البناء إلا أحقاف خلت من هندسة تختل ، ومن مزايا تنتسخ ، ومن بناء ينقض ومن روح سارية ينقطع اطرادها أو يختلف مجراها "[١] .

ثم يقول :" وتقريرًا لذلك نأتي هنا على القصيدة كما رتبها قائلها ثم نعيدها على ترتيب آخر يبتعد جد الابتعاد عن الترتيب الأول ليقرأها القارئ المرتاب ويلمس الفرق بين ما يصح أن يسمى قصيدة من الشعر وبين أبيات مشتتة لا روح لها ولا سياق ولا شعور ينظمها ، ويؤلف بينها "[٢] .

وبعد أن يعرض " العقاد " القصيدة كما نظمها "شوقي" يعقب على ترتيب شوقي فيقول :" كذلك انتظمت لشوقي مرثاه في مصطفى كامل ، وسماها قصيدة لأنها لم تأب أن تستقر في قرطاس واحد ، ولقد كان أحرى بها أن تسمى أربعة وستين بيتًا منظومة في كل شئ أو في لا شئ ، فاعتبرها أيها القارئ على هذا الترتيب ثم خذها على ترتيب آخر أربعة وستين بيتًا لم تزد ولم تنقص ولم تخسر حسنة كانت لها بل لعلها ربحت وعادت أحسن نسقًا وأقرب نظمًا "[٣] .

وبعد أن ينتهي العقاد من ترتيب القصيدة حسبما اتفق دون قصد سوى عشوائية الترتيب فيقول :" فانظر أيها القارئ إلى هذه المرثاة هل ترى بينها وبين سابقتها من تفاوت ؟ على أننا قد تناولنا الأبيات عفوًا كما بدرت لنا ولم نتحسر الإقصاء في الترتيب ولو أننا غيرنا بعض الضمائر التي تعلق الاسم على الاسم

(١) الديوان في الأدب والنقد ج٢ ص ١٣٢ .
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦ .

ولا رابطة بينهما وصحفنا حروف العطف التي تصل الجملة بالجملة ولا تناسب بين معناهما لم يكد يجتمع بيت من القصيدة على بيت ، وإنما يظهر انحلال هذه القصيدة من سؤال القارئ نفسه : هل قرأ في الشعر أشد تفككا منها ؟ فعلى حسب الجواب يكون حكمه على مصدرها من قريحة شوقي ، وهل هى نبعت من شعور فياض يتدفق على موضوعه فيغمره كما يغمر السيل الوهاد والنجاد ، أو تقطرات من عقل ناضب ينبض بالقطرة بعد القطرة بخلع الضرس وبخلع النفس فتأتي كالرشاش لا يتولد منه إلا الوحل واليبس "[1] .

بعد هذا العرض لآراء "العقاد" – نظريًا وتطبيقيًا – حول وحدة القصيدة يمكننا القول بأن "العقاد" لم يكتف في دعوته لوحدة القصيدة بأن تكون القصيدة ذات موضوع واحد ، بل يطالب بأن تبنى القصيدة بناء عضويًا تامًا ، فالقصيدة يجب أن تكون بنية حية ، وعملًا فنيًا متكاملًا ، بحيث لا تقبل القصيدة تغييرًا في وضع الأبيات وترتيبها ولا حذفًا منها ، ولا زيادة فيها ، فإذا حدث شئ من هذا القبيل اختلت وحدة القصيدة وبتر معناها ، وأصبحت مفككة الأبيات مشتتة الأفكار .

وبناء على هذا المفهوم نرى أن العقاد يطالب بأن تكون القصيدة وحدة عضوية تامة الخلق والتكوين بحيث تتحقق فيها وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبًا به تتقدم القصيدة شيئًا فشيئًا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها الموضوع .

(١) الديوان في الأدب والنقد ج٢ ص ١٤١ .

هذا ، وقد عاب بعض الباحثين والنقاد[1] فهم العقاد للوحدة العضوية وتشدده في تطبيق مقاييسها على شعر شوقي على نحو ما عرضنا له ، وذهبوا إلى أن شوقيًا كان مستهدفًا من قبل الديوانيين آنذاك لأنهم اتخذوا من شوقي هدفًا لهدم أنصار القديم ، وشوقي آنئذ كان يتربع على قمة الحياة الأدبية ، وربما كانت حملتهم على شوقي منافسة منهم على إمارة الشعر التي رامها العقاد وظن أنه أحق بها من شوقي ٠

ورأى هؤلاء النقاد أن تطبيق الوحدة بمثل تلك الصرامة التي انتهجها العقاد في شعر شوقي ، بل والشعر الوجداني ، فيه تعسف كبير ، ومجافاة للحقيقة ليس هذا فحسب بل ويرون أن العقاد نفسه لم يصل في إبداعه الشعري إلى تطبيق الوحدة العضوية كما فهمها نظريًا ، وكما دعا إليها ، ولم يستطع أن يلتزم بذلك في قصائده ، وكذلك زميليه ٠

ولا شك أن الطريقة التي سلكها العقاد مع قصيدة شوقي إنما تدل على مدى تحامله عليه ، ومحاولة هدمه وإقصاء الناس عن الإصغاء إليه ٠

وفي هذا المقام أورد واقعة ذكرها الأستاذ أنيس مصور حيث يذكر أن الشاعر محمد مصطفى حمام قدم على العقاد وقال له : سوف أسمعك شعرًا لواحد من شعراء العراق لأعرف رأيك فيه يا أستاذ ، فأشار إليه العقاد أن يقول ، فقال : إنها قصيدة رثاء الموسيقار فردي الذي توفي سنة ١٩٠١م ، وما انتهى الشاعر من إلقاء القصيدة حتى أبدى العقاد إعجابه ببناء القصيدة ومعانيها " ووحدتها

(١) راجع : د٠ محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون ص ١٠٤ – ١٠٨ ، د٠ محمد السعدى فرهود : قضايا النقد الأدبي ص ١١٧ ، ١١٨ ، د٠ أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٧٢ ٠

العضوية " أي ترابطها وانسياقها كأنها كائن حي ، وهى النظرية التي نادى بها العقاد وزميلاه ٠

وإذا بالشاعر مصطفى حمام ينفجر ضاحكًا وهو يقول :" ولكنها من نظم أمير الشعراء شوقي ! فيغضب العقاد وينهض واقفًا وهو يقول : اخرج من هنا يا ابن الـ ٠٠٠ !"[١] ٠

فهذه الواقعة تثبت لنا مدى تحامل العقاد على شوقي ، وتبين أن نقده لقصيدة الرثاء السالفة لم يكن نقدًا موضوعيًا ، وكان يجب عليه أن يتجرد من أي غرض شخصي ، أو علاقة تربطه بصاحب الأثر المنقود ٠

ومع أني اتفق مع الباحثين الذين عابوا على العقاد طريقته في نقد قصيدة شوقي إلا أنني أخالفهم فيما ذهبوا إليه من أ، تطبيق الوحدة العضوية على الشعر الوجداني فيه تعسف كبير ، وذلك لأن الوحدة العضوية تحققت عند الكثيرين من شعراء الرومانسية ، وأولهم مطران في قصيدته المساء ، وإيليا أبو ماضي في كثير من قصائده كالحجر الصغير والتبينة الحمقاء ، وجبران في البلاد المحجوبة ، ونعيمة في "أخي" و "الطمأنينة" ، والعقاد في "ترجمة شيطان" وشكري في "حلم بالبعث " وغير ذلك ٠

وقد أرجع بعض الباحثين فهم العقاد للوحدة العضوية إلى تأثره بالنقاد الرومانسيين خاصة كولردج وهازليت وغيرهما يقول د٠ عبد الحي دياب :" وفي تصورنا أن العقاد قد استفاد من النقاد الرومانتيكيين فيما يخص بماهية الوحدة العضوية في القصيدة الشعرية والحركة الداخلية فيها ، ذلك أن الرومانتيكيين يذهبون إلى أن تكون القصيدة ذات بنية حية تستلزم حركة داخلية فيها ، بحيث

(١) من مقال بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٨٩/٣/٤م ص ١٤ بعنوان العقاد بحر بلا انتهاء للكاتب أنيس منصور ٠

تتقدم في اتساق تام نحو الغاية منها ، وهذه خاصة الشعر – من وجهة نظرهم – وبها يمتاز عن الفنون التجسيمية من نحت وتصوير "[١] .

والأستاذ غالي شكري يرى أن كتابات " هازليت " حول " شكسبير " ز " ملتون " كانت مصدرًا رئيسيًا للمعيار النقدي الذي اتخذه "العقاد" عند تقييم قصيدة شوقي في رثاء مصطفى كامل "[٢] .

ويذهب د/ محمد عبد العزيز الكفراوي إلى أن "العقاد" تأثر في فهمه للوحدة العضوية بما قرأه في الآداب الأجنبية واتجاهاتها وعلى الأخص بنظرية كولردج التي تنادي بأن العمل الأدبي الممتاز مثل النبات الحي كل عضو فيه له مكانه المخصوص بحيث يؤدي نقله من ذلك المكان إلى سواه ، أو عدم وجوده مطلقًا إلى تشوية الأثر الأدبي ، كما أن العمل الأدبي يجب أن ينمو نموًا عضويًا كما ينمو النبات بحيث يتوالد بعض أجزائه من بعض ، وتكون امتدادًا طبيعيًا لها[٣] .

ومهما يكن من أمر ، فمما لا شك فيه أن الديوانيين طالبوا بوحدة القصيدة الشعرية ، ودعوا إلى أن تكون القصيدة كلا واحدًا ، وعملاً فنيًا تامًا ، وأصلوا دعوتهم نظرًا وتطبيقيًا فانتقلت القصيدة على أيديهم من وحدة البيت كما كان سائدًا عند أغلب الشعراء والنقاد القدامى إلى وحدة القصيدة وترابطها وبنائها بناء فنيًا متكاملا مرتبط الأجزاء ، ملتحم المشاعر والأفكار والعواطف متناسق الدلالات والإشارات وصارت القصيدة كأنها تمثال حي نابض بالحياة لأفكار صاحبها وأحاسيسه ومشاعره "[٤] .

---

(١) العقاد ناقدًا ص ٤١٠ .

(٢) صراع الأجيال في الأدب المعاصر ص ٨٣ .

(٣) تاريخ الشعر العربي د. محمد عبد العزيز ج٤ ص ٢٠٢ .

(٤) النقد العربي الحديث ومذاهبه د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٩١ ، ٩٢ .

ويؤكد د٠ محمد غنيمي هلال أن دعوة الديوانيين لوحدة القصيدة كان لها " أثر ثوري بعيد المدى في إدراك الشعر ، وفي إدراك القصيدة بوصفها وحدة حية كاملة ، وفي السمو بموضوعها وغاياتها ، وفي صدق صورها وتآزرها جميعًا على الوصول إلى هدفها "[١] ٠

ويذكر د٠ العزب أن :" الوحدة العضوية كبناء نقدي وفني له فلسفته الخاصة وتخومه المعروفة لم يؤصل لها سوى شعراء الديوان ٠٠٠ حتى أصبحت في الفكر النقدي والإبداع الشعري على السواء ظاهرة كاملة ، وليس مجرد إشارة عابرة قد تكون مقصودة لصاحبها وقد لا تكون "[٢] ٠

وأحب بعد هذا العرض أنني عرضت تصورًا واضحًا لمفهوم الديوانيين لوحدة القصيدة ، بعده نخلص إلى القول بأن :

أ- الدعوة إلى وحدة القصيدة الشعرية فطن إليها نقادنا القدامى ، ولكن على نحو خاص ، يمثل في الدعوة إلى تلازم وتجانس أجزاء القصيدة ، والقصيدة عندهم ذات أغراض عدة ، فإذا تخلص الشاعر من غرض على نحو جيد كانت قصيدته محكمة الأجزاء متسقة البناء ، ومن ثم يتنافى فهمهم لوحدة القصيدة كما دعا إليها النقد الحديث ٠

ب- أما في النقد الحيث فلم يسبق الديوانيين أحد في الدعوة إلى الوحدة العضوية والتقنين لها ، اللهم إلا إشارات "نجيب الحداد" ، و "مطران" ومن على شاكلتهما ، وهؤلاء لم يكن حديثهم عن الوحدة العضوية حديثًا مباشرًا مفصلا بل كان من قبل الإلماع لا التقعيد والتقنين على نحو ما رأينا عند الديوانيين ، ومن هنا يظهر دور الديوانيين القيادي في الشعر العربي الحديث وفي الدعوة

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٤٠٣ ٠

(٢) ظوهر التمرد الفني في الشعر المعاصر ص ١٨٨ ، ١٨٩ ٠

إلى وحدة القصيدة على نحو جديد ، ويظهر تفوقهم – أيضًا – في نظريتهم النقدية التي حوت معظم القضايا التي أثارها النقد الأدبي الحديث ٠

ج – لم يكن الديوانيين على مستوى واحد في الدعوة إلى وحدة القصيدة ، ففي الوقت الذي طالب فيه كل من المازني وشكري بأن تكون القصيدة ذات موضوع واحد ، وأن تكون كلاً واحدًا ، وبنية حية مترابطة الأجزاء والأفكار والأحاسيس ، نرى العقاد يلزم القصيدة بأن تبنى بناء عضويًا بحيث إذا قدمت فيها بيتًا على بيت أو أخرته أو حذفته اختل نظام القصيدة وفقدت وحدتها وبتر معناها ، ومن ثم كان العقاد أكثر تمسكًا من زميليه "المازني" و "شكري" في الدعوى إلى وحدة القصيدة ٠

د– دعوة الديوانيين لوحدة القصيدة كان لها أكبر الأثر في تعميق هذا المبدأ النقدي وتأصيله في البيئة الأدبية الحديثة فأصبح النقاد ينظرون إلى القصيدة عند تقويمها على أنها جملة واحدة ، وبنية متكاملة لا بيتًا بيتًا كما كان سائدًا عند معظم النقاد القدامى ٠